

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[92] قصّة آدم وحواء، وعداء ومحاربة إبليس لهما. وربّما كانت إشارة إلى أن الصراع بين الحقّ والباطل لا ينحصر بأمس واليوم، وموسى (عليه السلام) وفرعون، بل كان منذ بداية خلق آدم وسيستمر كذلك. وبالرغم من أن قصّة آدم وإبليس قد وردت مراراً في القرآن، إلا أنّها تمتزج في كلّ مورد بملاحظات ومسائل جديدة، وهنا نتحدّث أوّلاً عن عهد الله إلى آدم فتقول: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً). هناك عدّة آراء في ماهيّة العهد المذكور، فقال البعض: إنّ الله أمر الله بعدم الإقتراب من الشجرة الممنوعة، وهناك روايات متعدّدة تؤيّد هذا المعنى. في حين أنّ بعض المفسّرين احتملوا احتمالات أخرى يمكن اعتبارها بمثابة الأغصان والأوراق لهذا المعنى، كإخطار الله لآدم بأنّ الشيطان عدوّ مبين له، ويجب أن لا يتبعه. وأمّا "النسيان" هنا فمن المسلم أنّ الله ليس بالمعنى المطلق، لأنّ الله لا معنى للعتاب واللامّة في النسيان المطلق، بل إنّ الله إمّا بمعنى الترك كما نستعمل ذلك في مكالماتنا اليوميّة، فقد نقول لمن لم يف بعهد: أنسيت عهدك؟ أي إنّك كالناسي. أو أنّ الله بمعنى النسيان الذي يطرأ نتيجة قلّة الانتباه وشروذ الذهن. والمراد من "العزم" هنا هو التصميم والإرادة القويّة الصلبة التي تحفظ الإنسان من الوقوع تحت تأثير وساوس الشيطان القويّة. وعلى كلّ حال، فلا شكّ أنّ آدم لم يرتكب معصية، بل بدر منه ترك الأوّل، أو بتعبير آخر، فإنّ مرحلة وجود آدم في الجنّة لم تكن مرحلة تكليف، بل كانت مرحلة تجريبيّة للإستعداد للحياة في هذه الدنيا وتقبل المسؤوليّة، خاصّةً وإنّ نهي الله هنا كان نهياً إرشادياً، لأنّ الله قد أخبره بأنّ الله إنّ أكل من الشجرة الممنوعة فسيتلى بالشقاء. وقد أوردنا تفصيل كلّ ذلك، وكذلك المراد من الشجرة الممنوعة وأمثال ذلك في ذيل الآيات 19 – 22 من سورة الأعراف.